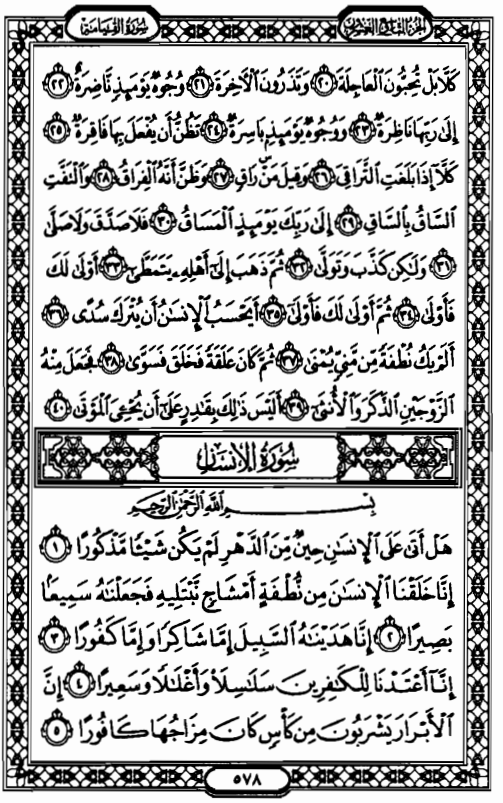

الجزء التاسع والعشرون — سورة القيامة

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ
السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٥٧٨

معانى الكلمات :

ناضرة : حسنة مشرقة متهللة .

باسرة : كالحة عابسة .

فاقرة : داهية تقسم فقار الظهر .

التراقى : أعالى الصدر .

التفت : التصقت .

أمشاج : أخلاط ممتزجة متباينة الصفات .

نبتليه : نختبره .

مزاجها : ما تمزج الكأس به وتخلط .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر حالة الإنسان قرب الموت فى ساعات الاحتضار .

٢ ـ أن نعلم أن تقدير الله فى نشأة الإنسان على أساس الابتلاء .

٣ ـ أن نعلم عاقبة الكفر ، وسوء مصير الكافر .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فى عرض مشاهد القيامة ، وما يكون فيها من شأن النفس اللوامة ، فيذكرهم بحقيقة نفوس وما يعتلج فيها من حب للدنيا وانشغال ، ومن إهمال للآخرة وقلة احتفال ، ويواجههم بموقفهم فى الآخرة بعد هذا وما ينتهى إليه حالهم فيها ، وأول ما يلحظ تسمية الدنيا بالعاجلة فضلا عن إيحاء اللفظ بقصر هذه الحياة وسرعة انقضائها ، ويشير النص إلى حالة تعجز الكلمات عن تصويرها كما يعجز الإدراك عن تصورها بكل حقيقتها ، ذلك حين بعد الموعودين السعداء بحالة من السعادة لا تشبها حالة ، حتى لتتضاءل إلى جوارها الجنة بكل ما فيها من ألوان النعيم .

هذه الوجوه الناضرة ، نضرها أنها إلى ربها ناظرة ، إلى ربها ! فأى مستوى من الرفعة هذا ؟ أى مستوى من السعادة ؟ إن روح الإنسان لتستمتع أحيانا بلمحة من جمال الإبداع الإلهى فى الكون أو النفس ، تراها فى الليلة القمراء أو الليل الساجى أو الفجر الوليد ، أو الظل المديد ، أو الإيمان الواثق ، أو الصبر الجميل ؛ فتغمرها النشوة ، وتفيض بالسعادة ، وترف بأجنحة من نور فى عوامل مجنحة طليقة ، وتتوارى عنها أشواك الحياة ، وما فيها من ألم وقبح ، وصراع شهوات وأهواء ، فكيف ؟ كيف بها وهى تنظره لا إلى جمال صنع الله ، ولكن إلى جمال ذات الله ؟ ألا إنه مقام يحتاج أولًا إلى مدد من الله ، ويحتاج ثانيا إلى تثبيت من الله ؛ ليملك الإنسان نفسه فيثبت ليستمتع بالسعادة التى لا يحيط بها وصف ولا يتصور حقيقتها إدراك ؛ والوجوه حسنة بهية مشرقة مسرورة وهى إلى جمال ربها تنظر .

أما وجوه الفجار فهى وجوه كالحة متقبضة تعيسة ، محجوبة عن النظر والتطلع بخطاباها وانطماسها ، وهى التى يشغلها ويجزئها ويخلع عليها الكلوحة توقعها أن تحل بها الكارثة القاصمة للظهر المحطمة للفقار ، ويذكر السياق مشهد الموت ، الموت الذى ينتهى إليه كل حى ، والذى لا يدفعه عن نفسه ولا عن غيره حى ، الموت الذى يفرق الأحبة ويمضى هى طريقه لا يتوقف ، ولا يتلفت لصرخة ملهوف ، ولا لحسرة مفارق ، ولا لرغبة راغب ولا لخوف خائف ، وحين تبلغ الروح التراقى يكون النزع الأخير ، وتلوى المكروب من السكرات والنزع ، ويتلفت الحاضرون حول المحتضر يتلمسون حيلة أو وسيلة لاستنفاذ الروح المركوب ، وقيل : هل من راق يرقى ، أو طيب يشفى ؟ وتعجز كل وسيلة ، ويتبين الطريق الواحد الذى يساق إليه كل حى فى نهاية المطاف وأن إلى ربك المرجع والمآب .

وفى مواجهة المشهد المكروب يأتى الإخبار عن الكافر الذى كان فى الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه ، متوليا عن العمل بقالبه ، فلا خير فيه باطنا ولا ظاهراً ، ولا همة له ولا عمل ، ويتفنن فى الصد عن سبيل الله ، والأذى للدعاة ، ويمكر مكر السيئ ، ويتولى وهو فخور بما أوقع من الشر والسوء ، وبما أفسد فى الأرض ، وبما صد عن سبيل الله ، ويأتى التهديد والوعيد الأكيد من الله ـ تعالى ـ للكافر به المبختر فى مشية ، أى يحق لك أن تمشى هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك، وهذا على سبيل التهكم والتهديد ، والإنسان ليس يترك فى هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك فى قبره سدى لا يبعث ، بل هو مأمور منهى فى الدنيا ، محشور إلى الله فى الدار الآخرة، وفى غير تعقيد ولا غموض يأتى بالدلائل الواقعة البسيطة التى تشهد بأن الإنسان لن يترك سدى ، إنها دلائل نشأته الأولى ؛ فما هذاالإنسان ؟ مم خلق ؟ وكيف كان ؟ وكيف صار ؟ وكيف قطع رحلته الكبيرة حتى جاء إلى هذا الكوكب ؟ فما كان الإنسان إلا نطفة ضعيفة من ماء مهين يراق فى الأرحام فصار علقة ، ثم مضغة ، ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقا سويا سليم الأعضاء ذكرًا أو أنثى بإذن الله وتقديره ، والذى قدر هذا الخلق السوى من نطفة ضعيفة أليس بقادر على أن يعيده كما بدأه ؟! سبحانك ، فبلى .

سورة الإنسان

تبدأ السورة بالتذكير بنشأة الإنسان وتقديرهم هذه النشأة على أساس الابتلاء ، ويأتى الاستفهام فى بداية السورة للتقرير ، وورود فى هذه الصيغة كأنها ليسأل الإنسان نفسه : ألا يعرف أنه أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً ؟ ثم ألا يتدبر هذه الحقيقة ويتملاها ويستشعر القدرة التى جعلته شيئا مذكورا بعد أن لم يكن شيئا مذكوراً ؟ والإنسان خلقته يد القدرة من نطفة مخلطة من وراثات شتى لا عبثا ، ولا جزافا ، ولا تسلية ، ولكنه خلق ليبتلى ويمتحن ويختبر ، ومن ثم جعله الله سمعيا بصيراً ، وزوده بوسائل الإدراك ليستطيع التلقى والاستجابة ، وليدرك الأشياء والقيم ويحكم عليها ويختار الابتلاء وفق ما يختار . ثم زوده إلى جانب المعرفة بالقدرة على اختيار الطريق، وبين له الطريق الواصل ، ثم تركه ليختاره ، أو ليضل ويشرد فيما وراءه من طرق لا تؤدى إلى الله ، وعبر عن الهدى بالشكر ؛ لأن الشكر أقرب خاطر يرد على قلب المهتدى فإذا لم يشكر فهو الكفور .

يقول صاحب الظلال : « ويشعر الإنسان بجدية الأمر ودقته بعد هذه اللمسات الثلاث ، ويدرك أنه مخلوق لغاية ، وأنه مشدود إلى محور ، وأنه مزود بالمعرفة فحاسب عليها ، وأنه هنا ليبتلى ويجتاز الابتلاء ، فهو فى فترة امتحان يقضيها على الأرض ، لا فى فترة لعب ولهو وإهمال ، ويخرج من هذه الآيات الثلاث القصار بذلك الرصيد من التأملات الرقيقة العميقة ، كما يخرج منها مثقل الظهر بالتبعية والجد والوقار فى تصور هذه الحياة ، وفى الشعور بما وراءها من نتائج الابتلاء ، وتغير هذه الآيات القصار من نظرية إلى غاية وجوده ، ومن شعوره بحقيقة وجوده ، ومن أخذه للحياة وقيمها بوجه عام » .

ومن ثم يأخذ فى عرض ما ينتظر الإنسان بعد الابتلاء ، واختياره طريق الشكر ، أو طريق الكفران ، فأما ينتظر الكافرين ، فيجمله إجمالا ، فلهم السلاسل والأغلال والسعير ؛ سلاسل للأقدام ، وأغلال للأيدى ، ونار تتسعر يلقى فيها بالمسلسلين المغلولين ، ثم يسارع السياق إلى رخاء النعيم ، فشراب الأبرار فى الجنة ممزوج بالكافور ، يشربونه فى كأس تغترف من عين تفجر لهم تفجيراً فى كثرة ووفرة ، وقد علم ما فى الكافور من التبريد والرائحة الطيبة، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة والنعيم فى الجنة .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الموت حقيقة تواجه كل حى ، فعلينا الاستعداد وبالعمل الصالح لهذا اليوم .

٢ ـ الكبر والخيلاء والتبختر فى المشى من الأمور التى يحذر منها الإسلام .

٣ ـ الإنسان له إرادة واختيار يستطيع بهما أن يسير فى طريق الخير أو فى طريق الشر ، فليجاهد فى طريق الخير .

سورة الإنسان
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾
٥٧٩

معانى الكلمات :

يفجرونها : يجرونها حيث شاؤوا .

مستطيرا : فاشيا منتشرا .

قمطريرا : شديد العبوس .

نضرة : بهجة فى الوجوه .

الأرائك : أسرة مزينة .

زمهريرا : برداً شديداً أو قمرا .

ذللت قطوفها : قربت ثمارها لمن يتبادلها .

قوارير : شفافة صافية .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على شىء من نعيم الجنة .

٢ ـ أن نعلم صفات الأبرار الذين ينالون نعيم الله ـ عز وجل .

٣ ـ أن نتعلم الولاء والبراء كيف يكون .

المحتوى التربوى :

تذكر الآيات أن الذى مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويَرْوَنَ بها ، ويتصرفون فى هذه العين حيث شاؤوا وأين شاؤوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم ، ثم يعرف بهؤلاء الأبرار عباد الله الذين قسم لهم هذا المتاع ؛ فهم يفعلون ما اعتزموا من الطاعات ، وما التزموا من الواجبات ، فهم يأخذون الأمر جداً خالصا لا يحاولون التفلت من تبعاته ، ولا التخلى عنه بعد اعتزامه ، وهم يدركون صفة هذا اليوم ، فيخافون أن ينالهم شىء من شره ، وهذه سمة الانقياد ، ومثل هذه القلوب لا يقال عنها : أنها تحب الطعام الذى تطعمه للضعاف المحاويج على اختلاف أنواعهم إلا أن تكون فى حاجة إلى هذا الطعام ، ولكنها تؤثر به المحاويج ، مع الاحتفاظ بحساسية القلوب ، وحيوية العاطفة ،

والرغبة فى الخير ابتغاء وجه الله ، والتجرد عن البواعث الأرضية من جزاء ، أو شكر ، أو نفع من منافع الحياة .

ويعجل السياق بذكر وقايتهم من شر ذلك اليوم الذى كانوا يخافونه ؛ ليطمئنهم فى الدنيا وهم يتلقون هذا القرآن ويصدقونه ، ويذكر أنهم تلقوا من الله نضرة وسرورا جزاء وفاقا على خشيتهم وخوفهم ، وعلى نداوة قلوبهم ونضرة مشاعرهم ، ثم يمضى بعد ذلك فى وصف مناعم الجنة التى وجدوها ، فالجنة يسكنونها والحرير يلبسونه ، وهم فى جلسة مريحة مطمئنة والجو حولهم رخاء ناعم دافئ فى غير حر ، ندى فى غير برد ، فلا شمس ولا زمهرير ، وإذا دنت الظلال ودنت القطوف فهى الراحة والاسترواح على أمتع ما يمتد الله الخيال .

وتأتى تفصيلات المناعم والخدمات ؛ فهم فى متاعهم ، متكئين على الأرائك بين الظلال الوارفة والقطوف الذاتية ، والجو الرائق ، يطاف عليهم بأشربة فى آنية من فضة وفى أكواب من فضة ، وهى مع هذا شفافة يرى ما فى باطنها من ظاهرها مما لم تعهده الأرض فى آنية الفضة ، وهى بأحجام مقدرة تقديراً يحق المتاع والجمال، ثم هى تمزج بالزنجبيل كما مزجت مرة بالكافور، وهى كذلك تملأ من عين جارية سلسبيلا ؛ لشدة عذوبتها واستساغتها لدى الشاربين ، وزيادة فى المتاع ، فإن الذين يطوفون بهذه الأوانى والأكواب بالشراب هم غلمان صباح الوجوه ، لايفعل فيهم الزمن ، ولا تدركهم السن ، فهم مخلدون فى سن الصباحة والصبا والوضاءة ، وهم هنا وهناك كاللؤلؤ المنثور .

ثم يجمل السياق ما فيه الأبرار ؛ فالنعيم والملك الكبير هو الذى يعيش فيه الأبرار المقربون عباد الله هؤلاء على وجه الإجمال والعموم ، ثم يخصص مظهراً من مظاهر النعيم والملك الكبير كأنه تعليل لهذا الوصف وتفسير،والسندس : الحرير الرقيق والإستبرق : الحرير السميك المبطن، وهم فى هذه الزينة وهذا المتاع يتلقونه كله من ربهم ، فهو عطاء كريم من معط كريم ، وهذه تضاف إلى قيمة ذلك النعيم ، ثم يتلقون عليه الود والتكريم ، يتلقون هذا النطق من الملأ الأعلى ، وهو يعدل هذه المناعم كلها ، ويمنحها قيمة أخرى فوق قيمتها ، فيقال لهم أن هذا كان جزاؤكم وكان عملكم مقبولا تشكرون عليه .

وبعد هذا الهتاف إلى الجنة ونعيمها الهنىء الرغيد ، يعالج حالة المشركين المصرين على العناد والتكذيب ، الذين لا يدركون حقيقة الدعوة ، فيساومون عليها الرسول ﷺ لعله يكف عنها ، أو عما يؤذيهم منها ويجىء السياق يعالج هذا الموقف بطريقة القرآن ، فيقول الله سبحانه ممتنا على رسوله ﷺ : كما أكرمك الله بما أنزل عليك ، فاصبر على قضائه وقدره ، واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره ، ولا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك ، بل بلغ ما أنزل إليك من ربك ، والآثم هو الفاجر فى أفعاله ، والكافور هو الكافر قلبه ، ويدله ـ سبحانه ـ على

الزاد وهو ذكر الله ، الاتصال بالمصدر الذى عليه القرآن وكلفه الدعوة ، وهو ينبوع القوة ومصدر الزاد والمرد ، فيأمر بالذكر فى الصباح والمساء .

يقول صاحب الظلال : « لقد كان رسول الله ﷺ يواجه المشركين بالدعوة إلى الله وحده ، وهو لم يكن يواجه فى نفوسهم مجرد عقيدة ، ولو كان الأمر كذلك لكان أيسر كثيراً ، فإن عقيدة الشرك المهلهلة التى كانوا عليها لم تكن من القوة والثبات بحيث يصمدون بها هكذا لعقيدة الإسلام القوية الواضحة البسيطة ، إنما كانت الملابسات التى تحيط بالعقيدة وبالموقف هى التى تقود إلى تلك المعارضة العنيدة، التى شهدت بها الروايات التاريخية، وحكاها القرآن فى مواضع منه شتى؛ كانت المكانة الاجتماعية ، والاعتزاز بالقيم السائدة فى البيئة ، وما يتلبس بها كذلك من مصالح مادية ، هى العنصر الأول الذى يقود إلى التشبث بالعقيدة الواهية الظاهرة البطلان ، فى وجه العقيدة القوية الظاهرة الاستقامة ، ثم كانت صور الحياة الجاهلية ومتاعها ولذائذها وشهواتها إلى جانب ذلك تزيد المقاومة والعناد والتأبى على العقيدة الجديدة وما فيها من اتجاهات أخلاقية وقيم رفيعة ، لا تسمح بانطلاق الغرائز والشهوات ولا بالحياة العاتية الماضية المطلقة من كوابح الأخلاق .

وهذه الأسباب ... كانت قائمة فى وجه الدعوة الأولى ، وهى قائمة فى وجه الدعوة فى كل أرض ، وفى كل جيل ، وهى تمثل العناصر الثابتة فى معركة العقيدة التى تجعلها معركة عنيدة لا تنتهى من قريب ، وتجعل مشاقها وتكاليفها والثبات عليها من أعسر التكاليف ، ومن ثم ينبغى للدعاة إلى دين الله فى أى أرض ، وفى أى زمان أن يعيشوا طويلاً فى الحقيقة الكبيرة الكامنة فى تلك الآيات ، وملابسات نزولها على الرسول ﷺ فهى ملابسات معركة واحدة يخوضها كل صاحب دعوة إلى الله فى أى أرض وفى أى زمان » .

ويؤمر صاحب الدعوة بالصبر فلا لقاء بينه وبين الكافرين ، ولا يمكن أن تقام قنطرة للعبور عليها فوق الهوة الواسعة التى تفصل منهجه عن منهجهم ، وتصوره للوجود كله عن تصورهم ، وحقه عن باطلهم ، وإيمانه عن كفرهم ، ونوره عن ظلماتهم ، ومعرفته بالحق عن جاهليتهم ، فليصبر ولو طال الأمد ، واشتدت الفتنة ، وقوى الإغراء ، وامتد الطريق ، ولكن الصبر شاق ، ولابد من الزاد والمد والمعين ، وهذا هو الزاد ، اذكر اسم ربك فى الصباح والمساء .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ فعل الطاعات والتزام الواجبات من صفات المؤمنين .

٢ ـ الخوف مما يقع فى القيامة من شر وهول مفزع أمر واجب على كل مسلم حتى ينتفع بإيمانه.

٣ ـ الصبر وذكر الله كثيراً وسيلة الثبات والصمود فى مواجهة شدائد الحياة وعقبات الدعوة .

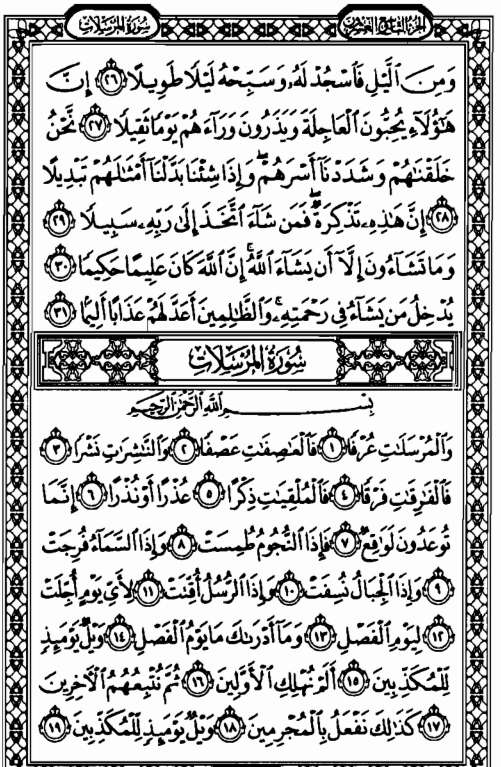

الجزء التاسع والعشرون — سورة المرسلات

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ
خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾
يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ ٱلۡمُرۡسَلَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ
﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

٥٨٠

معانى الكلمات :

بكرة وأصيلا : أول النهار وآخره .

ثقيلا : شديد الأهوال .

وشددنا أسرهم : أحكمنا خلقهم .

والمرسلات عرفا : قسم برياح العذاب متتابعة .

فالعاصفات عصفا : الرياح الشديدة الهبوب المهلكة .

والناشرات نشرا : الملائكة تنشر أجنحتها .

فالفارقات فرقا : الملائكة تأتى بالوحى فرقانا بين الحق والباطل .

فالملقيات ذكرا : الملائكة تلقى الوحى إلى الأنبياء .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر قدرة الله المحيطة ، وإرادة الله الطليقة .

٢ ـ أن نعلم بعض ما يقع فى يوم الفصل .

٣ ـ أن نتعرف على مصارع الغابرين وما تشير إليه من سنن الله فى المكذبين .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فيذكر الاتصال بالله ذكراً وعبادة ودعاء وتسبيحا ليلا طويلا،فالطريق طويل، والعبء ثقيل ولابد من الزاد الكثير والمدد الكبير ، وهو هناك حيث يلتقى العبد بربه فى خلوة وفى نجاء ، وفى تطلع وفى أنس تفيض منه الراحة على التعب والضنى ، وتفيض منه القوة على الضعف والقلة ، وحيث تنفض الروح عنها صغائر المشاعر والشواغل ، وترى عظمة التكليف ، وضخامة الأمانة فتستصغر ما لاقت ، وما تلاقى من أشواك الطريق ، والله رحيم كلف عبده الدعوة ونزل عليه القرآن ، وعرف متاعب العبء ، فلم يدع نبيه ﷺ بلا عون أو مدد .

يقول صاحب الظلال : « الحقيقة التى ينبغى أن يعيش فيها أصحاب الدعوة إلى الله هى هذه الحقيقة التى لقنها الله لصاحب الدعوة الأولى ﷺ ؛ هى أن التكليف بهذه الدعوة تنزل من عند

الله فهو صاحبها ، وأن الحق الذى تنزلت به لا يمكن مزجه بالباطل الذى يدعو إليه الآثمون الكفار ، فلا سبيل إلى التعاون بين حقها وباطلهم ، أو الالتقاء فى منتصف الطريق بين القائم على الحق والقائمين على الباطل ، فهما نهجان مختلفان ، وطريقان لا يلتقيان ، فأما حين يغلب الباطل يفوته وجمعه على قلة المؤمنين وضعفهم لحكمة يراها الله ، فالصبر حتى يأتى الله بحكمه ، والاستمداد من الله والاستعانة بالدعاء والتسبيح ليلا طويلا : هى الزاد المضمون لهذا الطريق ، إنها حقيقة كبرى لابد أن يدركها ويعيش فيها رواد هذا الطريق » .

ثم يمضى السياق فى توكيد الافتراق بين منهج الرسول ﷺ ومنهج الجاهلية ، بما يقرره من غفلتهم عن رؤية الخير لأنفسهم ، ومن تفاهة اهتماماتهم ، وصغر تصوراتهم ، فهؤلاء القريبى المطامح والاهتمامات ، الصغار المطالب والتصورات ، هؤلاء الصغار الزهيدين الذين يستغرقون فى العاجلة ، ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ، ثقيلا بتبعاته ، ثقيلا بنتائجه ، ثقيلا بوزنه فى ميزان الحقيقة ، إن هؤلاء لا يطاعون فى شىء ولا يتبعون فى طريق ، ولا يلتقون مع المؤمنين فى هدف ولا غاية ، وتوحى الآية بغفلتهم عن رؤية الخير لأنفسهم ، فهم يختارون العاجلة ، ويذرون اليوم الثقيل الذى ينتظرهم هناك بالسلاسل والأغلال والسعير بعد الحساب العسير .

يتلو ذلك التهوين من أمرهم عند الله الذى أعطاهم ماهم فيه من قوة وبأس ، وهو قادر على الذهاب بهم وتبديل غيرهم منهم ،و لكنه يتركهم لحكمة يجرى بها قدره القديم ، وهذه اللفتة تذكر هؤلاء الذين يعتزون بقوتهم بمصدر القوة ، بل مصدر وجودهم ابتداء ، وتطمئن المؤمنين الضعف إلى أن هو واهب القوة هو الذى ينتسبون إليه ، وإذا شاء أتى بقوم آخرين غيرهم ، وهذه السورة تذكرهم فمن شاء اهتدى بالقرآن ، ولا يقدر أحد أن يهدى نفسه ، ولا يدخل فى الإيمان ولا يجر لنفسه نفعا ، فهذا كله ينتهى إلى قدر الله الذى يلجأ إليه الملتجئ ، فيوفقه إلى الذكر والطاعة ، فإذا لم يعرف فى قلبه حقيقة القدرة المسيطرة فلا هدى ولا ذكر ، ومن ثم فهو يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، فمن يهده فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، والظالمون قد أملى وأمهلهم لينتهوا إلى هذا العذاب الأليم .

سورة المرسلات

الله سبحانه يقسم فى مطلع هذه السورة على أن هذا الوعد بالآخرة واقع ، وصيغة القسم توحى ابتداء بأن ما يقسم الله به هو من مجاهيل الغيب ، وقواه المكنونة ، المؤثرة فى هذا الكون وفى حياة البشر ، وقد اختلف السلف فى المرسلات ، فقال بعضهم : إنها الرياح مطلقا ، وبعضهم : أنها الملائكة مطلقا ، وبعضهم : إن بعضها يعنى هذا وبعضها يعنى هذا ، وهذا الغموض أنسب شىء للقسم بها على الأمر الغيبى المكنون فى علم الله ، وأنه واقع ، ويأتى القسم بالملائكة المرسلة